تحذير أهل الإيمان
عن الحكم بغير ما أنزل الرحمن

تأليف

الشيخ أبي هبة الله

اسماعيل بن إبراهيم الخطيب الحسني

الأسعردي الأزهري السلفي

تعليق وتخريج

محمد صبحي حسن حلاق

دار البيارق

فكيف يحوجنا إلى شيء من قوانين البشر وأوضاعهم وسياساتهم حاشا لله ومعاذ الله . ومن ظن ذلك فإن كان جاهلاً بين له وفهم وإلا فهو كافر حلال الدم والمال في جميع مذاهب علماء المسلمين قولاً واحداً فإن من ظن أن هذه الشريعة الكاملة التي ما طرق العالم شريعة أكمل منها ناقصة تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكملها فهو كمن ظن أن بالناس حاجة إلى رسول آخر غير رسولهم الذي يحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث . وكذلك من ظن أن شيئاً من أحكام الكتاب والسنة النبوية الثابتة الصحيحة بخلاف السياسة والمصلحة التي يقتضيها نظام الدنيا فهو كافر قطعاً . ولا يظن ذلك إلا من بلغ به الجهل بمرتبة الشريعة الغراء وأحكامها الحقة النقية البيضاء إلى أسفل سافلين . وأيما فرد ظن ذلك أو تخالج الشك في صدره في حكم من أحكامها فليعرض ذلك على أهل العلم بالكتاب والسنة حقيقة دون أهل الفلسفة وفضول العلوم حتى تتبين له حقيقة الحال . وتنقشع عن سماء قلبه سحائب الأوهام والضلال .

قال الحافظ ابن القيم في كتابه (مفتاح دار السعادة) ما نصه :

" وتأمل حكمته تبارك وتعالى في إرسال الرسل في الأمم واحداً بعد واحد كلما مات واحد خلفه آخر لحاجتها إلى تتابع الرسل والأنبياء لضعف عقولها وعدم اكتفائها بآثار شريعة الرسول السابق فلما انتهت النبوة إلى سيدنا محمد بن عبد الله رسول الله ونبيه أرسله إلى أكمل الأمم عقولاً ومعارف وأصحها أذهاناً وأغزرها علوماً وبعثه بأكمل شريعة ظهرت في الأرض منذ قامت الدنيا إلى حين مبعثه فأغنى الله الأمة بكمال رسولها وكمال شريعته وكمال عقولها وصحة أذهانها عن رسول يأتي بعده أقام له من أمته ورثة يحفظون شريعته ووكلهم بها حتى يؤدوها إلى نظرائهم " يزرعوها في قلوب أشباههم فلم يحتاجوا معه إلى رسول آخر ولا نبي ولا محدّث " أي ملهم " ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: " إنه قد كان قبلكم في الأمم محدثون فإن يكن في أمتي أحد فعمر " [186] فجزم

[186] (أخرجه البخاري (7 / 42 رقم 3689) من حديث أبي هريرة وأخرجه مسلم (4 / 1864 رقم 23 / 2398) . من حديث عائشة .

* محدّثون : أراد بقوله : محدثون : أقواماً يصيبون إذا ظنوا وحدسوا ، فكأنهم قد حُدّثوا بما قالوا ، وقد جاء في الحديث تفسيره : " أنهم ملهمون " .

بوجود المحدثين في الأمم وعلق وجودهم في أمته بحرف الشرط وليس هذا بنقصان في الأمة عمن قبلهم بل هذا من كمال أمته على من قبلها فإنها لكمالها وكمال نبيها وكمال شريعته لا تحتاج إلى محدث بل إن وجد فهو صالح للمتابعة والاستشهاد لا أنه عمدة لأنها في غنية بما بعث الله به نبيها عن كل منام أو مكاشفة أو إلهام أو تحديث: وأما من قبلها فللحاجة إلى ذلك جعل فيهم المحدثون " أ هـــ .

[الحكم بما أنزل الله أكمل أنواع العدل وأحسنها]

وإذا ثبت أن الله تعالى قد أغنانا أهل الإيمان والقرآن . بكتابه وسنة نبيه عن جميع الشرائع وقوانين أهل الإفلك والبهتان . فما وافقهما فهو العدل كما قال تعالى :

(فَإِن جَآؤُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُم أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [187] .

قال تعالى :

(فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ) [188] .

فأمره أن يحكم بينهم بالقسط وأن يحكم بما أنزل الله فدل ذلك على أن القسط هو ما أنزل الله ولذلك قال الله تعالى :

(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ) [189] .

والملهم : الذي يُلقَى في نفسه الشيء ، فيخبر به حدساً وظناً وفِراسة ، وهو نوع يختص الله به من يشاء من عباده الذين اصطفى مثل : عمر رضي الله عنه (كما في جامع الأصول لابن الأثير 8 / 610) .

(187) سورة المائدة : الآية 42 .

(188) سورة المائدة : الآية 48 .

(189) سورة الحديد : الآية 25 .